عيد الهجرة

لحضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه

وزير الشؤون الاجتماعية

الكلمة التى ألقاها معاليه من محطة الإذاعة اللاسلكية بمناسبة الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية ما المحرر

اليوم يحتفل العالم الإسلامى بعيد الهجرة ، فيبتهل المسلمون ضارعين إلى الله أن يهب لهم عاما مباركا سعيدا مفعما بخير الآلاء ، عام محمد ويسر ورفاهية ورخاء .

فإلى الفاروق مليكنا المحبوب الذى أمر بأن نضاعف اهتمامنا بهذا العيد ، وإلى المسلمين فى سائر أنحاء الأرض ، وإلى سائر البلاد الإسلامية ، نرفع التهنئة ونقدم التحية .

أيها السادة :

إن هذا العيد هو خير ذكرى لأكبر جهاد فى سبيل أكرم رسالة . فعلينا أن نتخذ من تلك الذكرى دروسا تضيء لنا الطريق ، ونبحث عما فيها من عظات تتخطى بها الصعاب وتهون علينا بعض ما يساور النفوس من قلق واضطراب .

فوالله ما مرت بخاطرى هذه الذكرى حتى تصورت النبى عليه السلام ، وقد أقدم على ترك بلده وأهله ، مستصحبا صديقه الصديق يضربان فى أنحاء الأرض ، منفردين يسيران نحو مستقبل مجهول ، ويقصدان المدينة مشردين لا يعتمدان إلا على الله وعلى نفس اختص الله بها نبيه المختار ، مفعمة بالغاية النبيلة لخير البشر ، وعزيمة تتوقد ثابتة حيث تتدك الجبال لا تخور ولا تلين ، جعلته ينادى — وقد ساوموه على ترك الرسالة ، وعرضوا عليه من أعراض الدنيا كل ما يريد — " والله لو وضعتم الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه " .

بهذه العزيمة التى اضطرمت بالإيمان الصادق التهبت الشعلة فتوهجت بنور بهر أبصار العالم وهزه إعجابا ، فدخل الناس فى دين الله أفواجا . وحمل المسلمون رايتهم — راية الحرية تحت ظل الحضارة ، راية المدنية الصحيحة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وتأمر بالمساواة والعدل والرفق والإحسان ، ودكوا المعاقل وافتتحوا الممالك ودوخوا الشعوب

فدانت لهم صاغرة ، وانتشر الإسلام فى عشرات من السنين حتى روى عن أمير المؤمنين الرشيد أنه نظر يوما إلى السماء ورأى سحابة فصاح يقول : أمطرى حيث شئت فإن رزقك سوف يأتينى .

هذه الذكرى — أيها السادة — تصوره لنا عليه السلام وقد استعذب الآلام يقاسيها صابرا طيب النفس ، واستهان بالخطر المدهم ، باسما عالى الرأس ، يقتحم أهوال الطريق غير هياب يشجع صاحبه ويواسيه وقد أحاط بهما الموت من كل جانب فيناجيه فى دعة وثقة وإصرار :

" لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا " .

أرأيتم أيها السادة أن اليوم الذى نحتفل به عيدا للمسلمين كافة ، هو فاتحة عهد جديد ، وبشير أمل سعيد ، كان لمحمد يوم الامتحان والبلاء ، أثبت فيه الرسول خير الفصول فى كتاب جهاده بعد أن قاوم صلف قريش ، وهاجم فيه ما كانوا يقدسون ، وهزأ بعقائدهم وبما كانوا يعبدون ، ثم انبرى يدعوهم للإسلام لا يبالى غضبهم ، ولا يضعف أمام ثورتهم وهياجهم .

ما أسعدنا حقا إذا كان لنا فى رسول الله أسوة ، فصبرنا على الشدائد تمسكا بالحق وتحملنا المكاره فى سبيل العقيدة ، واتجهنا نحو غايات الإسلام النبيلة نعزه ونعتز به ونعمل بتعاليمه فنسمو بفضلها إلى الذروة ، إلى الذروة التى خفق عليها لواؤه فانهارت تحت قدميه شعوب واندكت صروح ، وتدهورت أنظمة كان يظنها العالم قوية متينة ، فاذا هى متداعية عتيقة لا تقوى على الثبات أمام وثبة الإسلام ينادى بالإخاء والمساواة والعدل وحرية الرأى .

وما أعظم التوفيق اذا جعلنا من هذا العيد عيدا للبر وموسما للإحسان ، نأخذ فيه بيد المحتاج ونرحم فيه الضعيف ونسخو فيه على الفقير والبائس والمحروم .

جاء فى سيرة النبى عليه السلام : أنه لم يضع درهما على درهم ولا لبنة على لبنة ، وملك جزيرة العرب فقبض الصدقات ، وجبيت له الأموال ما بين غدران العراق إلى عمان إلى أقصى مخاليف اليمن ثم توفى وعليه دين ودرعه مرهونة . وما ذلك إلا لأنه كان يبيت على الطوى ليعطى الجائع وابن السبيل ويحرم نفسه ليواسى الضعفاء والمحرومين .

دعونى أكاشفكم مرة بما يسركم وتطمئن له قلوبكم ، أيها السادة . فقد وجدت النفوس فى مصر على استعداد عظيم ، يبشر بتحقيق آمال المصلحين ، ورأيت من إقبال المحسنين على البر يوم تنفيذ مشروع إعانة الفقراء فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤١ ما ملأ نفسى سرورا وغبطة . بدأنا ببعض الأحياء فى قسم السيدة فبرهن لى القوم فيها على أن الشعب يعرف واجبه حق المعرفة ، ويشعر بما يكابده الفقراء من شدة وحرمان وشقاء .

فاجتمعت اللجنة غير مرة ، وهي مكونة من فضليات السيدات من خير البيوت مجدا ورفعة ، وأقبلت المتطوعات من كل ناحية حتى بلغ عددهن زهاء المائة وبدأن يجمعن التبرعات فى عدد من السيارات ، وتوالى البذل حتى تجاوز كل ما كنا ننتظر . ومما سررت به أن بعض المتطوعات وجدن أن السيارات لا تسعفهن فكن يحملن الهبات من الأنحاء القريبة على أكتافهن وتركن السيارات للبيوت النائية . إلى هذا الحد بلغ نشاطهن فى خدمة أبناء وطنهن ، وازددت ابتهاجا بما وصلنى من احتجاج التجار ولأعيان فى الأحياء التى أرجأنا إدخالها فى دائرة التبرعات ، ولم يهدأوا حتى عرفوا أنهم مرجأون إلى عهد قريب .

وقد بلغ مابذله هذان الحيان الكريمان ما يكفى لمساعدة خمسمائة أسرة برفع مستوى حياتها شهرا كاملا .

ولا نشك فى أن هذا النجاح يشجع على تعميم التجربة حتى يشمل الإحسان حى السيدة ثم غيره من الأقسام ثم ينتقل من العاصمة إلى عواصم الأقاليم إن شاء الله .

أيها السادة :

لنحتفل بهذا العيد ، ولكن علينا ألا ندع العمر يذهب هباء عما إثر عام دون أن نستفيد بما نشاهده من عظات وعبر . إن الأمم مازالت تصلى نار حرب طاحنة ، وما زالت الحرب ظمأى للدماء تلتهم الأخضر واليابس . فلنفكر فى مستقبل وطننا ، عاملين على أن ندرأ عنه الأخطار المحدقة به بأن نتجلد فى مواجهة المحن والشدائد وأن نتعاون على الخير ، وأن يضحى الفرد بشىء من راحته فى سبيل المجتمع ، ومن مادته فى سبيل الإصلاح ، ومن رفاهيته فى سبيل الطاعة للأنظمة الاقتصادية التى تقتضيها حالة البلاد فى زمن الحرب .

إن أكثر البلاد ثروة ، وأعظمها قوة ، اضطرت لقبول صنوف من الحرمان ، تقابل بها صروف الزمان تحت ضغط عوامل حرب لا تعرف الرحمة وإنما تخف وطأتها على كل أمة لجأت إلى الحيطة والحذر والحكمة .

أيها السادة :

لا أحب أن أنغص عليكم العيد بعظات منبرية مطولة ، ولا أن أشوه جماله بذكر مانخشاه من المتاعب المحتملة .

لا أحب العيد مشوبا بالهموم والأشجان . فلنعتمد على الله ولننظر إلى الغد متفائلين داعين بالخير لشعوب الإسلام . نسأله تعالى أن يكلأها بعين رعايته التى لا تنام .

إبراهيم دسوقى أباظه